قيمة الوقت
من خلال سيرة وجهود الصحابي المقرئ
زيد بن ثابت رضي الله عنه

أ.د. إدريس علي الأمين

الأستاذ بقسم القراءات كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

إن الحمد لله نحمده،ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته في خلقه، وصفيه من رسله، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذا بحث بعنوان:

قيمة الوقت من خلال سيرة وجهود الصحابي المقرئ زيد بن ثابت ﷺ

إنّ قيمة الوقت وأهميته لا تخفى على عامة الناس فضلاً عن خواصهم وعلمائهم، فقيمته العظمى وأهميته الكبرى، وفوائده الجمة ماثلة للعيان وواضحة لكل إنسان.

فمكة المكرمة التي تشرفت بمولد الرسول ﷺ فيها عرفت قيمة الوقت منذ أمد بعيد، وما رحلة الشتاء والصيف لليمن والشام إلا من قبيل استثمار الوقت وتوظيفه للتَّغلُّب على الظروف الاقتصادية الصعبة في تلك الأيام.

ولما أَنْ جاء الإسلام وأشرق نوره علم الرسول ﷺ صحابته الكرام الاستثمار الأمثل للوقت، فأوصلوا الإسلام للعالم القديم في وقت قياسي ، وأقاموا دولة الإسلام الظافرة

بمؤسساتها الشورية، والعَدْلية، والجهادية،والاقتصادية، والإنسانية، فكان للوقت قيمة، وللإنسان مكانة، وللأُمّة موقع، فقد اعتلى الصحابة ، عليهم الرضوان ، المواقع اللائقة بهم، فكانوا في الناس سَادة، وللعالم قادة، فهذا عمر بن الخطاب ﷺعندما آلت إليه الخلافة لا ينام إلاّ قليلاً مخافَة إنْ نام بالنّهار ضياع الرعية، وإن نام بالليل ضياع العبادة.

واليوم تجاهلنا قيمة الوقت من بين قيم كثيرة تجاهلناهافكانت الهزيمة النكراء، وكان الفشل الذريع، وحللنا في ذيل القائمة بلا همم بعد أن كان أسلافُنا قادَة الأمم.

وإذا أردنا أن نزيل عار الهزيمة، وننفض غبار الفشل، ونبعد شنار الكسل، فعلينا العودة إلى سابق عهدنا وتليد مجدنا لنسير على خطى سلفنا الصالح ونرشف من معينهم الصافي ونروي من نبعهم الزلال فنحترم الوقت ونوظُفه فيما يرضي الله، ويعمر البلاد، ويصلح العباد؛ لنسعد ونسعد العالم الذي خسر الكثير بانحسارنا وانحطاطنا وبعدنا عن القيادة والريادة.

وهذا البحث يعرض الصور المشرقة لقيمة الوقت ونفاسته وأهميته وتسخيره من خلال سيرة وجهود الصحابي المقرئ زيد بن ثابتﷺ .

هيكل البحث:

يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الوقت وقيمته وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الوقت في اللغة.

المطلب الثاني: الوقت في الاصطلاح.

المطلب الثالث: الوقت في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الوقت في السنة النبوية.

المطلب الخامس: الوقت في شعائر الإسلام.

المبحث الثاني: قمية الوقت وتوظيفه من خلال سيرة وجهود الصحابي المقرئ زيد ابن ثابت رضي الله عنه. **وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: سيرته الذاتية.

المطلب الثاني: جهوده في تعلم لغة اليهود.

المطلب الثالث: إتقانه لعلم الفرائض.

المطلب الرابع: جهوده في جمع القرآن الكريم في صحف أيام أبي بكر رضي الله عنه .

المطلب الخامس: جهوده في نسخ القرآن الكريم في مصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات والفهارس.

المبحث الأول

تعريف الوقت وقيمته

المطلب الأول: تعريف الوقت في اللغة:

« وقت » الوقت، مقدار من الزمان، وكل شيء قدرت له حينا، فهو مؤقت، وكذلك ما قدرت غايته، فهو مؤقت، « الوقت » مقدار من الدهر معروف وأكثر ما يستعمل في الماضي وقد يستعمل في المستقبل، واستعمل سيبويه.(١)

لفظ الوقت في المكان تشبيهاً بالوقت في الزمن؛ لأنّه مقدار مثله.

قال: ويتعدى إلى ما كان وقتاً في المكان كميل، وفرسخ، وبريد، والجمع أوقات: وهو الميقات.

ووقت موقوت ووقت محدود وفي التنزيل العزيز ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا

(١) سيبويه: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري: إمام النحو وحجة العرب، طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية فبرع فيها وساد أهل عصره وألف الكتاب الذي لا يدرك شأوه أخذ فيه النحو عن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد والأخفش الكبير، قيل عاش اثنين وثلاثين عاماً وقيل أربعين توفي عام 180هـ وقيل 188هـ، انظر الذهبي: محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (ج1/ ص35) مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1981م تحقيق شعيب الأرناؤوط وعلي أبوزيد.

مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة النساء الآية 103] (١).

أي مؤقتاً مقدراً وقيل: أيكتبت عليهم في أوقات مؤقتة، وفي الصّحاح أي مفروضات في الأوقات، وقد يكون وَقَّتَ بمعنى أوجب عليهم الإحرام في الحجّ، والصّلاة عند دخول وقتها والميقات الوقت المضروب للفعل والموضع، يقال هذا ميقات أهل الشام للموضع الذي يحرمون منه وفي الحديث: «أنه ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل اليمن يلملم » رواه الطبراني (٢) .

قال ابن الأثير: (٣)

«وقد تكرر التوقيت والميقات، قال: فالتوقيت والتأقيت أن يجعل للشيء وقت

(١) الميل 4000 ذرعاً = 848 متراً، الفرسخ = 3 أميال = 1200 ذراعاً = 5544 متراً، البريد = 4 فراسخ = 12 ميلاً = 4800 ذراعاً = 22176 متراً، انظر: قلعجي: محمد رواس وقنيبي: حامد صادق: معجم لغة الفقهاء ص451 دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1408هـ-1988م.

(٢) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير (ج 11ص357 باب أحاديث عبدالله بن عباس حديث رقم (12006)) مكتبة دار العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية 1404هـ-1983م تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

(٣) ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبدالكريم عبدالواحد الشيباني الجزري ثم الموصلي الكاتب ابن الأثير صاحب جامع الأصول وغريب الحديث وغير ذلك ولد في جزيرة العرب سنة 544هـ وتوفي بالموصل سنة 606هـ الذهبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء (ج21ص 488-491).

يختص به، وهو بيان مقدار المدة، وتقول: وَقَّتَ الشيء يُوَقِّتُهُ وَوَقّتَهُ يَقِتُهُ إذا بين حده، ثم توسع فيه فأطلق على المكان، فقيل: للموضع ميقات، وهو مفعال منه، وأصله مِوْقَات فقلبت الواو لكسر الميم، وفي حديث ابن عباس [1] « لم يَقِتْ رسول الله ﷺ في الخمر حداً» أي لم يقدر ولم يَحدّه بعد مخصوص. [2]

والميقات: مصدر الوقت، والآخرة: ميقات الخلق، وميقات الإحرام: ميقات الحاج، والهلال: ميقات الشهر ونحو ذلك كذلك، وتقول:

وقته ليوم كذا مثل أجله، والمَوْقِتْ مَفْعِل من الوقت قال العجاج: [3] والجامع الناس ليوم الموقت. [4]

وقوله تعالى﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ [المرسلات الآية :11].

(١) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺدعالهالنبيﷺفقال: اللهم علمه التأويل وفقه في الدين،الحبروالبحرقرأ القرآن على أبي وروى عن النبيﷺ وعمروعثمان وعلي وأبي ذر وأبي سفيان وغيرهم قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير والأعرج وغيرهم توفي بالطائف سنة ثمان وستين هجرية، انظر الذهبي: أبا عبدالله محمد بن أحمد، معرفة القراءة الكبار على الطبقات والأعصار (ص 23،24) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٢) ابن منظور، عبدالله بن محمد الأنصاري الخزرجي، لسان العرب (9/ 365-366) دار الحديث القاهرة.

(٣) هو عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر، راجز مجيد من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ثم أسلم، وهو والد رؤبة الراجز المشهور، توفي سنة 9هجرية.

(٤) انظر ابن منظور، لسان العرب، 9/ 366.

قال الزجاج: [1] جعل لها وقت واحد للفصل في القضاء بين الأمة.

وقال الفراء: [2] جمعت لوقتها يوم القيامة.

واجتمع القراء على همزها، وفي قراءة عبدالله « وقتت » .

قلت:

وفي قراءة أبي عمرو البصري وأبي جعفر المدني كذلك لكن أبا جعفر يخفف القاف.

قال الإمام الشاطبي [3]

---

(١) الزجاج إبراهيم بن السرى ولد ومات ببغداد كان في فتوته يخرط الزجاج، عالم بالنحو واللغة مال إلى النحو فعلمه المبرد، من كتبه معاني القرآن والاشتقاق والأمالي في الأدب واللغة وفعلت وأفعلت في تصريف الألفاظ، انظر الزركلي: محمد محمود الأعلام (ج 1 ص33) دار العلم للملايين الطبعة الخامسة 1422هـ-2002م.

(٢) الفراء: أبو زكريا يحي بن زياد الديلمي لقب بالفراء؛ لأنه كان يفرى الكلام، كان إماماً في العربية وأعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي وقد أخذ عنه وعن يونس مجمع علم الكوفيين والبصريين، له مؤلفات كثيرة منها معاني القرآن توفي سنة 207هـ في طريق مكة عن سبع وستين سنة، انظر الزركلي: الأعلام (ج8ص145).

(٣) الشاطبي: القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الضرير أحد الأعلام ولد في أواخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة قرأ ببلده القراءات وأتقنها على أبي عبدالله محمد النقزي وعرض التيسير من حفظه والقراءات على أبي الحسن ابن هذيل وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الأماني ووجه التهاني وعقيلة أتراب القصائد اللتين في القراءات والرسم توفي في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة تسعين وخمسمائة، انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار (ص312).

وَإِسْتَبْرَقٍ حِرْمِيٌّ نَصْرٍ وَخَاطَبُوا تَشَاءُونَحصْن وُقِّتَ وَاوُه حَلَا [1]

قال الإمام ابن الجزري [2]

وَحُزْ أَقَّتَتْ هَمْزًا وَبِالْوَاوِ خَفَّ أُدْ وَضُمَّ جِمَالاَتٌ افْتَحِ انْطَلِقُوا طُلَى [3]

وقرأها الباقون بالهمز؛ لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت يقال: هذه أُجوه حسان بالهمز وذلك؛ لأن ضمة الواو ثقيلة، وأقتت لغة مثل وجوه وأجوه. [4]

المطلب الثاني: تعريف الوقت في الاصطلاح:

عرّف الجرجاني الوقت اصطلاحاً فقال:

(١)الشاطبي: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (ص 88) توزيع مكتبة دار الهدى المدينة المنورة الطبعة الثالثة 1417هـ-1996م.

(٢) ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر ولد بدمشق سنة إحدى وخمسين وسبعمائة هجرية ونشأ فيها وابتنى فيها دار القرآن ورحل إلى مصر والأناضول وما وراء النهر والحجاز، شيخ القراء في زمانه وصاحب المصنفات في القراءات، النشر في القراءات العشر والدرة المضية وله في التراجم غاية النهاية في طبقات القراء توفي سنة ثلاث وثلاثون وثمانمائة هجرية ، انظر: ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء (ج3ص1216-1225) دار الصحابة للتراث بطنطا.

(٣)ابن الجزري، متن الدرة المضية (ص39) دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق سوريا.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج9ص366).

« هو مقدار حركة الفلك الأطلسي عند الحكماء، وعند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم مقدر به متجدد آخر موهوم كما يقال:

« أتيتك عند طلوع الشمس » فإنّ طلوع الشمس معلوم ، ومجيئه موهوم فإذا قرن ذلك الموهوم يزال الإيهام.[1]

وقيل الوقت هو المقدار المحدود من الزمن، وقيل الوقت الواقع بين أمرين أحدهما معلوم سابق، والآخر معلوم لاحق، والميقات هو الوقت المضروب للشيء.

وعرف الإمام ابن القيم [2] الوقت فقال:

« هُوعمر الإنسان ومدّة حياته، ولا حياة له إلا بإقباله على ربه، والتنعم بحبه وذكره وإيثار مرضاته»[3]

وعرفه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [4] قائلاً:

«اتفقوا على أن رأس مال الإنسان في حياته هو عمره كلف بأعماله في فترة وجوده في

(١) الجرجاني: علي بن محمد، التعريفات (ص152) طبعة دار الكتاب العربي ط1، 1405هـ.

(٢) هو الإمام شمس الدين أبو عبدالله المعروف بابن القيم صاحب التصانيف المشهورة توفي عام 751م، انظر ابن كثير: البداية والنهاية (ج14ص234) دار النشر، مكتبة المعارف بيروت.

(٣) انظر ابن القيم: الجواب الكافي (ص13) دار الريان القاهرة.

(٤) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد الحكني مفسر مشهور صاحب أضواء البيان توفي سنة 1393هـ انظر الزركلي: الأعلام(6/ 45).

الدنيا فهي له كالسوق فإن أعمله في خير ربح وإن أعمله في شر خسر»[1]

ومن خلال التعريفات السابقة، لا سيما تعريفي ابن القيم والشنقيطي يتبين لنا قيمة الوقت وتحديده وأنّ الله تعالى عيّن الأَوْقات لأداء العبادات فمن ذلك جعل أداء الصلوات المفروضات مرتبط بدورة الشمس فعلقها بأمور ظاهرات مرئيات طلوع الفجر أو إسفاره لصلاة الفجر، وغروب الشمس لصلاة المغرب، وغياب الشفق أو ذِهَاب نصف الليل أو ثُلثه لصلاة العشاء، وزوال الشمس عن كَبِد السماء أو أن يصير ظلُّ كلّ شيء مثله لصلاة الظهر، وأن يصير ظلُّ كل شيء مثله أو مثليه لصلاة العصر فعن جابر بن عبدالله : « أن النبي ﷺ جاءه جبريل فقال قم فصله فصلى الظهر حين زالت الشمس، ثم جاءه العصر، فقال قم فصله فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثله، أو قال صار ظله مثله، ثم جاءهُ المغرب فقال قم فصله فصلى حين وجبت الشمس، ثم جاءه العشاء فقال قم فصله فصلى حين غاب الشفق، ثم جاءه الفجر فقال قم فصله فصلى حين برق الفجر، أو قال حين سطع الفجر، ثم جاءه من الغد للظهر فقال قم فصله فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثله، ثم جاءه العصر فقال قم فصله فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه، ثم جاءه للمغرب المغرب وقتاً واحداً لم يزل عنه، ثم جاء للعشاء العشاء حين ذهب نصف الليل، أو قال ثلث الليل

(١) الشنقيطي: أضواء البيان (ج9ص497 ص497) دار إحياء التراث بيروت 1417هـ

فصلى العشاء، ثم جاءه للفجر حين أسفر جداً فقال قم فصله فصلى الفجر ثم قال ما بين هذين وقت »[1].

قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء:٧٨]

وجعل عبادات أخرى مرتبطة بدورة القمر كالصيام أو الحج وغيرهما.

قال تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وقال جل في علاه: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٩]

ولا يخفى فوائد دورتي الشمس والقمر وما يتحقق فيهما من مصالح العباد ، وإعمار البلاد.

(١) ابن حنبل أبو عبدالله أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (ج 3 ص330) باب مسند جابر بن عبدالله ﷺ ، دار صادر بيروت.

المطلب الثالث: الوقت في القرآن الكريم:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الليل والنهار يتعاقبان كل منهما يخلف الآخر ليتذكر الإنسان أن الله لم يخلقه عبثاً ، وإنما خلقه لعبادته ولم يتركه هملاً وإنما أرسل له الرسل وأنزل الكتب ليبين له ما كلفه به وهيأ له الجديدين الليل والنهار ليعمل فيهما ، فإنْ فاته الليل ولم يعمل فيه عملاً صالحاً أدركه النهار ليعمل ، وإن فاته النهار ولم يكن قد عمل أدركه الليل وهكذا يتكامل الليل والنهار في عنصر الزمن ، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٢]قوله تعالى: ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ أي يتذكر أي فيعلم أن الله لم يجعله كذلك عبثاً فيعتبر في مصنوعات الله ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم. (١)

وقال عدد من السلف معناه: (٢)« من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل »

وحديث النبي ﷺ : « من نام من حزبه أو شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر

(١) القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القوآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (15/ 462) تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

(٢) قاله عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن، انظر المصدر نفسه (15/ 463).

وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»[1].

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ يقال شكر يشكر شُكْراً وشكورا؛ مثل كفر يكفر كُفْراً وكفوراً وهكذا الشكر على أنهما جعلهما قواماً لمعاشهم، وكأنهم لما قالوا: « وما الرحمن؟» .

قال: هو الذي يقدر على هذه الأشياء.

ويكفي أن نقول إنّ المولى عزّوجلّ أقسم بالوقت لما له من قدر عظيم وفائدة كبيرة، ولكي يتضح لنا عظيم المقسم به وعظيم جوابه نذكر قسماً للعلي القدير بوقتين من بين أمثلة كثيرة بالقسم بالوقت في القرآن الكريم:

قال تعالى :﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١ – ٣].

كان جبريل عليه السلام قد أبطأ على النبي ﷺ في النزول بالوحي فقال المشركون: « إن محمداً ودعه ربه وقلاه ولوكان أمره من الله لتابع عليه كما كان قبله من الأنبياء » وشق ذلك على النبي ﷺ وعندما نزل جبريل عليه بالوحي فرح النبي ﷺ ومما لا شك فيه أن عودة الوحي أغاظت المشركين، وهنا تظهر لنا أهمية الوقتين المقسم بهما وهما وقت الضحى أي النهار ووقت الليل وجوابهما وهو:قول الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

(١) الإمام مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم (ج 1 ص515) كتاب الصلاة باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض حديث رقم (747) دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

لأن الله سبحانه وتعالى ربط هذين الوقتين المقسم بهما بأمر عظيم وهو النفي أن يكون ترك أو أبغض نبيه.

وهكذا كل قسم بالوقت هو قسم عظيم ارتبط بعظيم هو جوابه، فقس مالم أذكره على ما ذكرته.

المطلب الرابع: الوقت في السنة النبوية:

إن السنة النبوية ورد فيها الكثير من الأحاديث التي تدلّ على قيمة الوقت وكانت حياة النبي ﷺ وحياة أصحابه عليهم الرضوان مثالاً حيّاً لترجمة تلك الأحاديث في أحوالهم المختلفة، وقد وصى النبيﷺ باغتنام الوقت وتوظيفه.

فعن ابن عباسؓ أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه:

« اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك »[1].

يعني أن هذه الخمسة أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والإستكثار في الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط منه والإهمال في زمن الفرصة

(١) الحاكم أبوعبدالله محمد بن عبدالله: المستدرك على الصحيحين (ج 4ص341) حديث رقم(7844) كتاب الرقاق قال الإمام الذهبي في تعليقه على مستدرك الإمام الحاكم على شرط البخاري ومسلم الطبعة الأولى سنة1411 هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق مصطفى عبدالقادروعطا.

والإمهال، فإن بعد كل شباب هرما، وبعد كل صحة سقماً، وبعد كل غنى فقراً، وبعد كل حياة موتاً، فمن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات.

فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات، ويطلب الكَرّة وهيهات، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حيث لا مدفع للحسرات. (١)

إذن الأُمّة الإسلامية دائبة الحركة موظفة للوقت لخير الدنيا ، ونعيم الآخرة قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (٢)

« أحرز لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » (٣)

(١) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، باب أركان الإيمان (ج2ص711) دار المعرفة بيروت 1379هـ.

(٢) هو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي: وردت الرواية عنه في حروف القرآن العظيم وهو أحد الذين حفظوا القرآن العظيم في حياة النبي ﷺ توفي ليالي الحرة سنة خمس وستين قاله أحمد بن حنبل وقال البخاري سنة تسع وستين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة، ابن الجزري: غاية النهاية (2/ 651-652).

(٣) الهيثمي الحافظ نور الدين: زوائد الهيثمي، مسند الحارث بن أبي اسامة (2/ 983) رقم (1093) مركز خدمة السنة والسيرة النبوية المدينة ط1/ 1412هـ-1992م تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري.

المطلب الخامس: الوقت في شعائر الإسلام:

إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لعبادته قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وسخر لهما الوقت لإنفاذ تلك العبادة قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]

فارتبطت شعائر الإسلام ارتباطاً وثيقاً بالوقت وهاك بإيجاز عرض هذا الارتباط.

الصلاة في أول وقتها:

فالمتأمل للصلاة يجدها مرتبطة بالوقت قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠٣]، أي مؤقتة مفروضة أي تؤدونها في أنجمها والمعنى عند أهل اللغة: مفروضاً لوقت بعينه يقال وقته فهو موقوت ووقته فهو مؤقت.(١)

وعن أبي ذر الغفاري ﷺقال: قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: ثم قلت: أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (7/ 111).

قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة بعد فَصَلِّه فإن الفضل فيه.[1]

فإن قوله ﷺ « ثم أينما أدركت الصلاة بعد فَصَلِّهْ فإن الفضل فيه » فيه إفادة غاية في الأهمية ينبغي أن لا تغيب عن المسلم وأن لا يحيد عنها بحال من الأحوال وهي أولية خاصة سماها الإمام ابن القيم بعبودية الوقت.[2]

الزكاة وتمام الحول:

إن الركن الثالث من أركان الإسلام الراسخة هو تلك الشعيرة المالية الربانية التي تعكس وترسم صورة من صور التراحم والتلاحم والتكافل بين الأغنياء والفقراء في المجتمع المسلم لتحفظ عليه وحدته، وتحقق تماسكه وتبرز ترابطه حتى يكون الجميع كالجسد الواحد، فهي فريضة مرتبطة بالوقت تخرج في العام مرة أي عندما يحول عليها الحول، فعن أم المؤمنين عائشةف قالت: «سمعت رسولﷺيقول: لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول »[3]

---

(١) الإمام البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (ج 4ص145) حديث رقم (3364) كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾، دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422هـ

(٢) انظر ابن القيم الجوزية: الفوائد (ص193) دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1393هـ-1973م وأبا النور: د.طلال بن محمد، الأربعون المكية (ص8) مطابع أضواء المنتدى.

(٣) ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه (ج 1ص571) كتاب الزكاة: باب زكاة الورق والذهب حديث رقم(1792) دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

الصوم وفضل الزمان:

والصيام سواء أكان فرضاً أ م نفلاً مرتبط بالوقت فصيام الفَرْض مرتبط بشهر رمضان في كلّ سنة من الزمان قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وصيام النفل: مرتبط ببعض الأزمان كصوم ستة من شوال عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر »[1] وبقية صيام النوافل مرتبطة بالوقت كذلك كصيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، ويوم عرفة لغير الحاج.

الحج وميقاته الزماني:

أما الركن الخامس الحج ، فمرتبط بالزمان قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهي شوال وذو القعدة والعشر الأُوَل من ذي الحجة، والذي تبرأ به الذمة، ويتم به الحج هو

(١) أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داؤود (ج 2ص324) كتاب الصوم باب في صوم ستة أيام من شوال حديث رقم(4233) المكتبة العصرية صيدا تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

طلوع فجر اليوم التاسع من ذي الحجة فمن وقف هذا اليوم على صعيد عرفة الطاهر ونفر بعد مغيب الشمس إلى مزدلفة وبات بها ثم وصل إلى منى ورمى جمرة العقبة ثم بات بمنى ليلتي الحادي عشر والثاني عشر مع رمي الجمرات بعد الزوال للمستعجل واليوم الذي بعدهما للمتأخر مع تكملة بقية المناسك فقد أتم الحج ، وهنا يتضح تحديد الوقت في هذا الحضور الصفوى المبارك ، والمؤتمر الإسلامي الجامع والحشد العالمي الكبير كما اتضح في بقية الأركان المذكورة آنفاً.

المبحث الثاني

سيرة وجهود الصحابي المقرئ زيد بن ثابت وقيمة الوقت

المطلب الأول: سيرته الذاتية:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن غنم بن مالك بن النجار أبو سعيد وأبو خارجة الأنصاري الخزرجي النجاري المقرئ الفرضي شيخ المقرئين والفرضيين مفتي المدينة .

كاتب النبي ﷺ وأمينه على الوحي ، وأحد الذين جمعوا القرآن في عهده ﷺ من الأنصار، كان أسن من أنس بسنة، وكان شابّاً ذكياً ثقفاً عرض القرآن على النّبي ﷺ، وحدّث عنه، وعن صاحبيه.

حدث عن زيد أبوهريرة وابن عباس وقرآ عليه، وقرأ عليه ابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وأبوأمامة بن سعد، وعبدالله بن يزيد

الخطمى، ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب، وأبو عبدالرحمن السهمي، وقبيصة بن ذؤَيب، وابناه الفقيه خارجه، وسليمان، وأبان بن عثمان، وعطاء بن يسار، وأخوه سليمان بن يسار، وعبيد بن السباق والقاسم بن محمد، وحجر المدري، وطاووس وبسر بن سعيد، وخلق كثير جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ، ثم تولى كتابة مصحف عثمانﷺ شهد الخندق وبيعة الرضوان، وكان عمر ﷺ يستخلفه على المدينة إذا حج، وتولى قسمة الغنائم يوم اليرموك.

توفي سنة خمس وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين، وأبعد من قال: سنة خمسة وخمسين، أو ست وخمسين، بل مات عن ست وخمسين سنة والله أعلم. (١)

المطلب الثاني: جهوده في تعلم لغة اليهود:

إن اليهود وهم يحاولون الصد عن دين الإسلام بشتى السبل، ومختلف الطرق؛ فتارة بالغدر والخيانة، ونكص المواثيق ونقض العهود والاتفاقيات، وأخرى بإثارة الفتنة بين الأوس والخزرج، وثالثة بجمع القبائل وإعدادها لغزو المدينة النبوية فهم لا يهدأ لهم بال، ولا يفتر لهم جهد في الكيد للإسلام ورسوله، وقد ظهر خبث نياتهم وسوء أحقادهم من خلال تحريف الكلم عن مواضعه بتحيتهم النبيﷺ محرفين كلمة « السلام » الجميلة التي حي الله بها نبيه إلى كلمة «السّام» التي تعني الموت.

(١) انظر الذهبي: أبا عبدالله محمد بن أحمد: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص 17) دار الكتب العلمية: بيروت لبنان، والذهبي: سير أعلام النبلاء (2/ 426) دار الصحابة للتراث بطنطا.

عن عائشة ڤقالت: « جاء أناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال عليه الصلاة والسلام: مَهْ يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، فقلت: يا رسول الله، ألست ترى ما يقولون؟! فقال: ألستِ تَرَيْنَ أرد عليهم ما يقولون، أقول: وعليكم، فنزلت هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة: ٨]، أي أن الله سلم عليك، وهم يقولون، السام عليك والسام الموت »[1]

كان هذا من خلال تعاملهم مع النبي ﷺ باللغة العربية فكيف يكون الحال من خلال لغتهم أي لغة اليهود.

إذن لا بدّ من تعلم لغتهم حتى يأمن المسلمون مكرهم وكيدهم ولا بد من ماهر ذكي ثقف يندب لهذه المهمة ، فكان هذا الشاب زيد بن ثابت الذي أسلم عند مَقْدَم النّبي ﷺ إلى طيبة الطيبة وهو ابن إحدى عشر سنة فأمره النبي ﷺ بتعلم خط اليهود ليقرأ له كتبهم.

عن خارجة عن أبيه قال:

(١) الإمام مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري صحيح مسلم (ج 4 ص1707) كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

أُتِيَ بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقالوا يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك وقال: « يا زيد تعلم لي كتاب يهود؛ فإني والله لا آمنهم على كتابي » قال: « فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم » رواه أبوداود [1]

وهكذا يوظف الوقت ويسخره فيتقن لغة اليهود تحدثاً وكتابة في هذا الوقت الوجيز وبهذا الصنيع يصد مكراً ،ويفشل كيداً ،ويسد ثغرة قد ينفذ منها اليهود بتحريف الكلم عن مواضعه وبذلك ينال ثقة النبي ﷺ في كتابة خطابه لليهود ويقرأ ما يكتبونه له إن هذا الصحابي الجليل حباه الله تعالى بخلال عدة وأعطاه هبات كثيرة ، ومنحه ذكاء فذاً يسعفه في حل المعضلات، وبديهة مطاوعة مختارة مجبولة تلبيه كلما دعاها واحتاج إليها ليوظفها وفاقاً لما يريد كما أعطاه بركة في الوقت استخدمها لخدمة الإسلام والمسلمين.

المطلب الثالث: جهوده في إتقان علم الفرائض:

إن الإسلام الذي حافظ وحرص وصان الضروريات الخمس وهي:

الدين والنفس والعرض والعقل والمال قد أباح الحصول على المال بالطرق المشروعة،والمال ينتقل بواحد من الثلاثة التالية:

1 - الملكية بالإحراز: وهي التي تثبت بإحراز المال المباح غير المملوك

(١) أبو داؤود: سليمان بن الأعمش السجستاني: سنن أبي داؤود (ج 3 ص 318) كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب حديث رقم (3645).

والاستيلاء عليه كإحراز الكلإ والصيد والاستيلاء على المعادن والكنوز.

2 - الملكية بالعقد: وهي التي تثبت بعقود التمليك سواء أكانت عقود معاوضة كالشراء أم عقود تبرع كالهبة.

3 - الملكية بالخلافة: وهي التي تثبت للشخص بعد موت المالك ، وهي نوعان:

أ - ملكية إجبارية: وهي ملكية الوارث لما يملكه مورثه فهذه الملكية لا دخل فيها لإرادة الوارث ولا إرادة المورث بل تثبت للوارث بحكم الشرع.

ب - ملكية اختيارية: وهي ملكية الموصَى له لما أوصى به الموصي من تركته، فهذه الملكية نشأت عن إرادة الموصى له، فالموصى أراد أن يكون الموصى له خليفته في قدر محدد من ماله والموصى له قبل تلك الخلافة مريداً مختاراً. (١)

وهكذا يظل المال متداولاً بين كل الناس لا يحتكره الأغنياء فقط.

والاسلام إذ أباح الحصول على المال بالطرق التي ذكرت، وجه بإنفاق في مصارفه المعروفة وصانه من كل معتد، فقطع يد السارق في نصاب محدد إذا توافرت الضوابط

(١) انظر البرديسي: محمد زكريا: الميراث والوصية (ص 11-12) دار النهضة العربية 22 شارع عبدالخالق ثروت القاهرة.

المعروفة في الفقه الإسلامي، وحجر على السفيه في ماله، وجعل الوصاية على مال اليتيم حتى يبلغ الحلم ويؤنس منه الرّشد.

وقد قسم المولى جل في علاه المواريث ولم يتركها للنفس البشرية وشهواتها ونوازعها لتعط من تريد، وتحرم من تشاء، وتبعد هذا، وتقرب ذاك، فقد أنزل الله سبحانه وتعالى آيات المواريث وطبقها النبي ﷺفي واقع المسلمين وحثَّ الصحابة الكرام على تعلّمها وتعليمها. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا الفرائض وعلموها النّاس فإنها نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أُمّتي » [1] فسارع الصحابة إلى تعلم علم الفرائض ، وتفوقوا فيه فكان على رأس المتفوقين زيد بن ثابت ﷺ الذي حباه صاحب الرسالة بمنقبة التفوق في هذا العلم المهم فقال ﷺ :

« ارحم أُمّتي بأمتي أبي بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأُمّة أبي عبيدة ابن الجراح » [2]

(١) ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه (ج 2 ص 908) كتاب الفرائض باب الحث على تعلم علم الفرائض، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) الامام الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي (ج 5 ص 664) كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابي بن كعب وأبو عبيدة بن الجراح حديث رقم (3790) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة الثانية 1395 هـ تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي.

قال الإمام أبوعبدالله الرحبي: [1]

وأنَّ زَيْداً خُصَّ لا مَحالَهْ بَما حَباهُ خاتَمُ الرِّسالَهْ

مِنْ قَوْلِهِ فِي فَضْلِهِ مُنَبِّها أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ وَنَاهِيكَ بِها

فَكانَ أَوْلى باتِّباعِ التَّابِعي لا سِيَّما وَقدْ نَحَاهُ الشَّافِعِي [2]

فأنعم وأكرم بهذه المنقبة من رسول الله ﷺ إلى زيد بن ثابت الذي سخر عمره فأكب على علم الفرائض وطلبه وتفقه فيه وتفوق في معرفة معضلاته وحل عويص مشكلاته فرأيه راجح عند طلاب العلم والعلماء فقد ذكر الأعمش عن مسلم عن مسروق عن ابن عباس فأنه كان يقول:

« في أخوات لأب وأم وأخوة وأخوات لأب، للأخوات للأب والأم الثلثان فما بقي فللذكور دون الإناث» فقدم مسروق المدينة، فسمع قول زيد فيها فأعجبه، فقال له بعض أصحابه أتترك قول عبدالله؟ فقال: أتيت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرحبي، أبو عبدالله المعروف بابن المتقنة، ولد برحبة مالك بالشام عام 497هـ-1104م درس ببلدة وألف كتباً منها الأجوزة المسماة بغية الباحث المشهورة بالرحبية في علم الفرائض، توفي برحبة مالك عام 577هـ-1182م، انظر الزركلي: الأعلام 6/ 279.

(٢) أبو عبدالله الرحبي، بغية الباحث في المواريث الشهيرة بالرحبية ص 7، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

الراسخين في العلم، يعني كان زيد يشرك بين الباقين – أي يسوي بينهم في القسمة »[1]

وعن سليمان بن يسار قال: « ما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في الفرائض والفتوى والقراءة والقضاء »[2]

وقال الزهري: « لو هلك عثمان وزيد في بعض الزمان لهلك علم الفرائض لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرهما » إسناده صحيح وهو موقوف على الإمام الزهري[3]

وكما كتب القرآن الكريم كتب الفرائض يقول الإمام الزهري:

« لولا أنّ زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنّها ستذهب من الناس »[4] .

---

(١) الإمام الدارمي: محمد بن عبدالرحمن، سنن الدارمي (ج 4 ص1904) كتاب الفرائض، باب في الإخوة والأخوات والولد وولده والوالد، دار المغني للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى تحقيق حسين أسد.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى (ج 2 ص274) باب ذكر من جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1410هـ-1990م.

(٣) الدارمي، محمد بن عبدالرحمن: سنن الدارمي (ج 4 ص1886) كتاب الفرائض باب في تعليم الفرائض حديث رقم (2894).

(٤) الإمام البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى (ج 6 ص347) باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة في علم الفرائض، حديث رقم (1291) طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1422هـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.

وعن سالم كُنّا عند ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت فقلت مات عالم النّاس اليوم؟ فقال ابن عمر يرحمه الله فقد كان عالم الناس في خلافة عمر وحَبْرُها ، فرّقهم عمر في البلدان ونهاهم أن يفتوا برأيهم، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتى أهلها. (١)

كما كانت له عموم الفتوى وأمور القضاء وتولى قسمة الغنائم في اليرموك، ويستخلف على المدينة من قبل عمر إذا حج ورأيه الصواب عند ما يحار أولو الألباب، ففي يوم السقيفة اختلف المسلمون فيمن يخلف الرسول ﷺ أيكون من المهاجرين أم من الإنصار؟ وكادت تحدث الفتنة الكبرى ورسول الله ﷺ ما زال مُسجيً بين ظهرانيهم لَمَّا يدفن بعد.

فكانت تلك الكلمة الحاسمة التي نطق بها فمه الطاهر فكانت بعون الله عاصمة من كل قاصمة إذ التفت إلى قومه الأنصار قائلاً: « يا معشر الأنصار إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين فيكون خليفته مهاجراً مثله، وإنَّا كنا أنصار رسول الله ﷺ فنكون أنصاراً لخليفته من بعده وأعواناً له على الحق ثم بسط يده إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: « هذا خليفتكم فبايعوه »

فقال أبوبكر رضي الله عنه:« جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم لو قلتم غير هذا

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى (ج 2 ص275) باب ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

ما صالحناكم»[1]

ويعرف حبر الأُمّة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس ﷺ فضل زيد بن ثابت وقدره وعلمه فيجله ويبجله ، وذلك عندما رأ ى زيداً بن ثابت يهمُّ بركوب دابته فيقف بين يديه ويمسك له بركابه، ويأخذ بزمام دابته فقال له زيد بن ثابت ﷺ:

« دع عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس ﷺ : « هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا»

فقال له زيد: « أرني يدك فأخرج ابن عباس يده له، فمال عليها زيد وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا »[2]

وقد فاق زيد الناس في علم الفرائض والقرآن فأظهر تفوقه ونبوغه فيهما » روى عن الشعبي أنه قال: [3] «غلب زيد الناس على اثنين الفرائض والقرآن »[4]

(١) انظر الباشا، د.عبد الرحمن رافت: صور من حياة الصحابة (ص374) مؤسسة الرسالة.

(٢) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين: تاريخ دمشق (ج73 ص190) دار الفكر للطباعة والنشر طبعة 1415هـ-1995م.

(٣) الشعبي، هو عامر بن شراحبيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري أبو عمرو، راوية ثقة مشهور فقيه من التابعين يضرب المثل بحفظه ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة توفى سنة 103هـ الزركلي، الأعلام (ج 3 ص251).

(٤) الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: تذكرة الحفاظ (ج 1 ص 28) دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1419هـ وكذلك الذهبي: معرفة القراء الكبار (ص18).

ويوم مات زيد ووُرِيَ الثرى ووُرِيَ معه علم غزير قال أبوهريرةﷺ[1] : « اليوم مات حبر هذه الأُمّة، وعسى أن يجعل الله في ابن عباس خلفاً له »[2]

ورثاه شاعر الرسولﷺحسان بن ثابتﷺقائلاً:[3]

فَمَنْ لِلْقَوَافي بَعْدَ حَسَّان وابنه وَمن للمَثَاني بَعْدَ زَيْد بن ثَابِت[4]

والمثاني: القرآن، سمّي بذلك؛ لأن القصص تُثَنَّى فيه.

(١) عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أسلم هو وأمه سنة سبع وأخذ القرآن عن أبي بن كعب ومناقبه أكثر من أن تحصر كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء جزء للقرآن وجزء للنوم وجزء يذاكر فيه حديث رسول الله ﷺ توفى سنة سبع وقيل سنة ثمان وخمسين والقولان مشهوران وقبل سنة تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة: انظر ابن الجزري: غاية النهاية (ج1 ص557-558).

(٢) الأصفهاني، أبو نعيم: معرفة الصحابة(ج 3 ص 1154) حديث رقم 2903 طبعة دار الوطن للنشر الرياض الطبعة الأولى 1419هـ تحقيق عادل بن يوسف العزازي.

(٣) حسان بن ثابت الأنصاري من بني النجار الخزرجي قال أبو عبيدة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام، كان من المعمرين قيل أنه عاش مائة وعشرون سنة: ستين في الجاهلية ستين في الإسلام كف بصره في آخر أيامه توفي في خلافة معاوية سنة 54هجرية الزركلي: الأعلام (ج2 ص175).

(٤) انظر الأصفهاني، أبا نعيم: معرفة الصحابة (ج 3 ص 1154) والباشا، صور من حياة الصحابة (ص375).

المطلب الرابع: جهوده في جمع القرآن في صحف في خلافة أبي بكر ﷺ :

إن الله سبحانه وتعالى قد ختم الأنبياء بـ محمد ﷺ وأرسله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وأنزل الله كتاباً مصدقاً للكتب السابقة ومهيمنا عليها بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام فكان ﷺ يردد ما ينزل به جبريل مخافة أن ينساه ولكن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦ – ١٨]

وقال عز وجل: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]

وقال جل في علاه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى: ٦ – ٧]فحفظ ﷺ ولم ينس وحرص على تعليمه لصحابته الكرام فحثهم على تعلمه وتعليمه فعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[1]

فسارعوا إلى حفظه، وتسابقوا إلى مدارسته، وتعلّم أحكامه، وفهم معانيه، والعمل بما فيه، وإتقان تجويده، وتتبع وجوه قراءاته، فحفظه كثير منهم ممن كانوا يعرفون بالقراء، وقد قتل منهم سبعون رجلاً في بئر معونة وهم يؤدون ما كلفوا به من رسول الله ﷺ[2]

(١) البخاري، محمد إسماعيل: صحيح البخاري (ج 6 ص192) كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

(٢) انظر السقار: د. منقذ بن محمود: تعرف على الإسلام، ص83، رابطة العالم الإسلامي.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: « بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ فقتلوهم فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت »(١)

ومن يدخل في حديقة الإسلام الغَنَّاء ، وساحته الفيحاء من المسلمين الجدد يرسل إلى أحد إخوانه ليعلمه القرآن يقول عبادة بن الصامت ﷺ :

« كان رسول الله ﷺ يشغل فإذا قدم رجل مهاجرٌ إلى رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن» (٢)

وكان كُتَّاب الوحي عثمان، وعلي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع، والعلاء بن الحضرمي، وأبان بن سعيد، على أهبةالاستعداد والتهيئة الكاملة لكتابة الوحي ساعة نزوله في أي وقت من ليل أو نهار قلّ أو كثر ولا أدلّ على ذلك من كتابتهم لسورة الأنعام التي نزلت ليلاً وهي من السور الطوال يقول ابن عباس ﷺ : « نزلت سورة الأنعام جملة واحدة نزلت ليلاً وكتبوها من ليلتهم غير ست فإنها نزلت بالمدينة»(٣).

كما كان النبي ﷺ يرشدهم إلى إصلاح المداد والقلم وطريقة الكتابة ومن ذلك قوله ﷺ

(١) البخاري: صحيح البخاري (ج5 ص104) باب من انتظر حتى.

(٢) ابن حنبل أبو عبدالله، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (ج9 ص153).

(٣) الثعالبي، أحمد بن محمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج 4 ص 231) دار أحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م تحقيق الأستاذ نظير الساعدي.

لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ : « ألِق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرّق السين ولا تعور الميم وحسّن « الله » ومدّ « الرحمن» وجوّد « الرّحيم » وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك » (١)

ولما لم يكن في زمانهم قراطيس؛ كتبوه على العُسُب، واللخاف، والرقاع، وقطع الأديم والأكتاف والأضلاع والأقتاب، فالأقتاب جمع قَتَبْ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، والأكتاف جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو للشاة كانوا إذا جفّ كتبوا عليه، والأديم هو الجلد، والرقاع، جمع رُقْعة، وقد تكون من جلد أو رق أو كاغد، واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفةً آخره فاء، جمع لَخْفَة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الرقاق، والعُسُب، جمع عسيب، وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض.

وكان ﷺ يستوثق ويراجع ما كتبه الكتاب بين يديه ويوليه الاهتمام البالغ من المراجعة والتدقيق والفحص مخافة أن يسقط منه شيء يقول زيد بن ثابت ﷺ : « كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وكان يشد نفسه ويعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم يسرَّى عنه فاكتب وهو يملي علي، فما أفرَغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال: اقرأ، فأقرأه فإن كان به سقط أقامه » (٢) .

كما كان يمنع كتابه غيره مخافة تداخله مع القرآن فقال:

(١) السخاوي، علم الدين علي بن محمد: الوسيلة إلى كشف العقيلة (ص101) مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير (ج5 ص142) حديث رقم 4894.

« لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه »[1]

وهكذا حفظ القرآن في الصدور والسطور غير أنه لم يجمع في مصحف واحد في حياة النبي ﷺ لما كان يتوقع من نزول زيادة أو نسخ بعض المتلو، يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى[2] :

« وإنما لم يجمعه النبي ﷺ في مصحف واحد لما كان يتوقع من زياداته ونسخ بعض المتلو، ولم يزل ذلك التوقع إلى وفاته ﷺ فلما أمن أبوبكر وسائر الصحابة ذلك التوقع واقتضت المصلحة جمعه فعلوه»[3]

فلما توفّي رسول الله ﷺ وتولى أبوبكر رضي الله عنه الخلافة حافظ الصحابة على دين الله وعضوا عليه بالنواجذ مدافعين عنه بكل غال ونفيس وقد بدأت حروب الردة في أغلب جزيرة العرب وكان أشدها ضراوة وبأساً معركة اليمامة بين بني حنيفة بقيادة مسيلمة الكذاب، والمسلمين بقيادة خالد بن الوليد واقتتل المسلمون وبنو حنيفة قتالاً ما رأى المسلمون قبله مثله ، وقتل من المسلمين ألف ومائتان منهم سبعمائة من القُرّاء، فخاف عمر رضي الله عنه ذهاب القراء فجاء إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: « إنّ القتل قد أسرع في قُرّاء

(١) ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد (ج3 ص47).

(٢) النووي، أبو زكريا يحي بن شرف: الإمام الحافظ اللغوي المشارك في العلوم صاحب التصانيف المفيدة توفى 677هـ انظر بن العماد عبدالحي أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب 5/ 353 دار الكتب العلمية وابن قاضي : أبو بكر أحمد: طبقات الشافعية 2/ 153 عالم الكتب الطبعة الأولى 1407هـ تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان وكحالة عمر رضا: معجم المؤلفين (13/ 202) مكتبة المثنى ودار أحياء التراث العربي.

(٣) النووي، يحي بن شرف التبيان في حملة القرآن (ص631) تحقيق عبد القادر الأرنؤوط: دار المؤيد.

القرآن أيام اليمامة وقد خشيت أن يذهب القرآن فاكتبه، فقال أبو بكر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ولم يعهد إلينا منه عهداً؟ فقال عمر أفعل فهو والله خير فلم يزل عمر بأبي بكر ثم حتى أرى الله تعالى أبابكر مثل ما رأى عمر »[1]

وهنا لا بد من رجل بمواصفات خاصة وميزات معينة وقدرات فائقة ومنهجية محكمة للقيام بهذا الأمر فاختار أبو بكر زيد بن ثابت ﷺ لهذا الأمر العظيم وهذا التكليف الشاق يقول زيد ﷺ :« أرسل إلي أبو بكر ﷺ مقتل أهل اليمامة وكان عنده عمر ﷺ فقال: إنّ هذا أتاني فقال: « إنّ القتل قد استحرّ القُرّاء وإنّي أخشى أنْ يستحر القتل في القراء في سائر المَوَاطِن فيذهب القرآن ، وقد رأيت أن تجمعوه فقلت لعمر كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر ﷺ : «والله خير ولم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري ورأيت فيه الذي رأى، وإنك شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فأكتبه»[2]

فقال زيد: والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ منه، فقلت لهما: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقالا هو والله خير فلم يزالا يراجعاني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدرهما »[3]

إذن وقع اختيار أبي بكر ﷺ على هذا الشاب الذكي الثقف، القوي الذاكرة، المتوقد الحافظة، الحاضر البديهة، صاحب المهمات الخاصة، والإنجاز السريع، والعمل المتقن،

(١) انظر السخاوي: الوسيلة إلى كشف العقيلة (ص72).

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصحفة نفسها.

وقد امتاز بثلاث ميزات أهالته بجدارة للقيام بهذه المهمة العظيمة:

« فهو من كُتّاب الوحي للرسول ﷺ ، وجمع القرآن في عهده، وكانت قراءته على العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل في آخر رمضان من حياته الكريمة ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى »(١)

ولقد قام زيد ﷺ بهذه المهمة خير قيام ووضع خطة محكمة، ومنهجية واضحة، فلم يعتمد على حفظه وحفظ إخوانه من الصحابة بل بحث عن المكتوب بين يدي النبي ﷺ ليطابق المحفوظ المكتوب ، ويدعم هذه المنهجية بقوة عمر بن الخطاب ﷺ الذي قام فنادى في الناس قائلاً: « مَنْ تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به »(٢)

فجمع الصحابة ما كتبوه فسلّموه لزيد الذي نفذ خطته بدقة وإتقان حتى قال ﷺ: « فتتبعت القرآن أنسخه من الصحف والعسف واللخاف وصدور الرجال حتى فقدت آية كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها» ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت فأثبتها في سورتها »(٣)

وهنا تتضح المنهجية التي وضعها زيد ﷺ وهو أن يشفع الحفظ بالكتابة مع أنّ زيداً

(١) انظر السخاوي: الوسيلة إلى كشف العقيلة (ص73).

(٢) البكري، عبدالرحمن أحمد: عمر بن الخطاب (ج1 ص282) موقع يعسوب.

(٣) السخاوي: الوسيلة (ص72).

كان من الحفظة ولكنه فعل ذلك مبالغة في الاحتياط كما قال ابن حجر العسقلاني [1] :

« وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة » [2]

وهكذا تم هذا العمل المبرور والجهد الضخم الذي لا يقدر عليه إلا العظماء من الرجال أصحاب الهمم العالية والنفوس الكبيرة والعزائم القوية.

ولقد وجد هذا العمل الإجماع من الصحابة عليهم الرضوان حتى قال علي ﷺ[3]:

« رحم الله أبابكر هو أول من جمع القرآن بين اللوحين » [4]

فلما فرغ زيد ﷺ من هذا العمل جاء بالصحف المشتملة على جميع القرآن إلى أبي بكر ﷺ فلما كان وقت وفاته دفعها إلى عمر ﷺ فلما مات عمر كانت عند حفصة أم المؤمنين

قال الإمام الشاطبي:

إنَّ اليمامةَ أهْوَاها مُسَيْلِمَةُ الـ كذَّابُ في زَمَنِ الصِّديقِ إذْ خَسِرَا
وبعدَ بأْس شديدٍ حانَ مصْرَعُهُ وكان بأْساً على القُرَّاءِ مُسْتَعِرَا

(١) هو أحمد علي بن حجر العسقلاني: الإمام الحافظ أصله من عسقلان أقبل على الحديث ورحل في البلدان للسماع من الشيوخ وله المصنفات الجليلة توفى 852هـ انظر عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، والزركلي، محمد محمود: الأعلام (1/ 178-179).

(٢) الملا علي القارئ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج7 ص99) باب في توابع أخرى، المصدر موقع المشكاة الإسلامية.

(٣) هو علي بن أبي طالب الهاشمي: أحد السابقين لم يسبقه الإسلام إلا خديجة أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين. ومناقبه يضيق المكان عنها قتل شهيداً ﷺ صبيحة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار (ص11-12).

(٤) السخاوي: الوسيلة (ص72).

نادى أبابكرٍ الفاروقُ خِفْتُ على الْـ قُرَّاءِ فادَّرِكِ القُرْآنَ مُسْتَطِرَا
فأجمعوا جَمْعَهُ في الصُّحْ فِواعتَمَدُوا زيدَ بن ثابتٍ العدْلَ الرِّضَى نَظَرَا
فقام فيه بعونِ الله يجْمَعُهُ بالنُّصْحِ والجِدِّ والحَزْمِ الَّذِى بَهَرَا
مِنْ كُلّ أوجُهِهِ حتى استتمَّله بِالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ العلْيا كَما اشْتَهَرا
فأمسكَ الصُّحُفَ الصِّديقُ ثم إلى الـ فاروقِ أسْلَمَها لما قضى العُمُرَا
وعندحفصةَكانت بعدُ[1] ....

المطلب الخامس: جهوده في نسخ المصاحف في خلافة عثمان ﷺ :

انتقل عمر ﷺ إلى الرفيق الأعلى وخلفه على أمر المسلمين عثمان بن عفان ﷺ الذي واصل الدَّعوة والجهاد على خطى رسول الله ﷺ وصاحبيه، فأرسل المسلمون في الأمصار يبلغون دين الله ويدافعون عنه بمهجهم الغالية وأرواحهم الطاهرة فاجتمع في غزوة أرمينية جند الشام وجند العراق فاختلفوا في القرآن يسمع هؤلاء قراءة هؤلاء فينكرونها وكل ذلك صواب ومنزل من عندالله حتى قال بعضهم « قراءتي خير من قراءتك »[2]

فلما رأى حذيفة بن اليمان ﷺ اختلافهم، فزع من ذلك وأسرع إلى عثمان ﷺ فقال: « يا أمير المؤمنين إنّ النّاس اختلفوا في القرآن حتى –والله– إني لأخشى أن يصيبهم ما

(١) الشاطبي: القاسم بن فيره: منظومة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصحف العثماني، ص23-24، مكتب أولاد الشيخ للتراث.

(٢) انظر السخاوي: الوسيلة (ص77).

أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف فما كنت صانعاً إذا قيل: «قراءة فلان وقراءة فلان كما صنع أهل الكتاب فامنعه الآن»[1] فجمع عثمان ﷺ اثني عشر ألفاً من المسلمين فقال ما تقولون؟

فقد بلغني أن بعضهم يقول: « إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً، قالوا فما ترى؟ فقال: أرى أن تجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فرقة ولا يكون اختلاف، قالوا: فنعم ما رأيت، فلما عزم على ما أشار به حذيفة والمسلمون، بعث إلى حفصة « أن أرسلي إلى بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فأرسلت بها إليه »[2]

فكلف عثمان بن عفان ﷺ زيد بن ثابت الذي كان مضرب المثل في حدة الذكاء والألمعية وقوة الحافظة والميزات المتعددة والخصائص الفريدة والقلب الفارغ من كل شاغل إلا الانشغال بكتاب الله وسنة رسوله والاهتمام بأمر المسلمين، وضم إليه من الأنصار أبي بن كعب ، ومن القرشيين « عبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث »[3] وأمرهم بنسخ المصاحف ثم قال للنفر القرشيين:

«ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم» فاختلفوا في «التابوت» فقال زيد «التابوه» وقال الآخرون «التابوت» فرجعوا إلى عثمان ﷺ فقال:

(١) انظر المصدر نفسه والصحفة نفسها.

(٢) انظر المصدر نفسه (ص77-78).

(٣) النويري: محمد بن محمد: شرح طيبة النشر في القراءات العشر (ج 1 ص64) دار الصحابة للتراث تحقيق جمال الدين محمد شرف والسخاوي: الوسيلة ص78.

اكتبوه «التابوت» فإنه بلسان قريش»[1]

ولقد بارك الله وقت زيد وصحبه فقاموا بهذه المهمة على أكمل وجه جمعوا الصحف في مصاحف على أرجح الأقوال أنها ستة : المدني الخاص الذي حبسه عثمان لنفسه وهو المسمَّى بالإمام، والمدني العام الذي سيره من محل نسخه إلى مقره العام، والمكي، والبصري، والكوفي، والشامي، [2]وكلف الخليفة الراشد عثمان ﷺ زيداً أن يقرأ بالمدني، وبعث عبدالله بن السائب مع المكي، وعامر بن قيس مع البصري ، وأبا عبدالرحمن السلمي مع الكوفي والمغيرة بن شهاب مع الشامي»[3]

وهكذا اجتمع الصحابة مرة أخرى على هذا العمل الكبير الذي له أسبابه ودواعيه وهم الذين لا يجتمعون على خطأ إذ هم خير القرون، وهكذا تم هذا العمل المتقن الممنهج على هذا النحو ، وبهذه الكيفية ، وبرجال ذي همم عالية ، وقدرات فائقة ، وأوقات مباركة، وقد نالوا الإشادة والتقدير من كبار الصحابة فيقول علي ﷺ :

« لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان » [4]

---

(١) انظر ابن القاصح، علي بن عثمان: شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد في علم الرسم (ص33) دار الصحابة للتراث بطنطا.

(٢) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) انظر المصدر نفسه (ص35)

(٤) انظر الداني، أبا عمرو عثمان بن سعيد: المقنع في معرفة مصاحف الأمصار (ص 28) المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع.

قال الإمام الشاطبي:

.....فاختلف الْـ قرَّاءُ فاعتزلوا فى أحرُفٍ زُمَرَا
وكان في بعضِ مغْزاهم مُشاهِدَهم حذيفةُ فرأى فى خُلْفِهِمْ عِبَرا
فجاءَ عثمانَ مذْعوراً فقالَ لهُ أخافُ أنْ يخلِطُوا فأدْرِكِ البَشَرا
فاستحضرَ الصُّحُفَ الاولَى التى جُمِعت وخَصَّ زيداً ومِنْ قُرَيْشِه نَفَرا
على لسانِ قريشٍ فاكتُبوه كما على الرسولِ به إنْزالُه انْتَشَرا
فجرَّدُوه كما يَهْوَى كتَابَتَهُ ما فيهِ شكلٌو لا نَقْطٌ فَيَحْتَجِرَا
وسارَ فى نسَخٍ منها المدَنِى كوفٍ و شامٍ وبصرٍ تملأُ البَصَرا
وقيل مكةَ والبحرينِ معْ يمنٍ ضاعتْ بها نُسخٌ فى نشْرِها قُطَرا [1]

(١) الشاطبي: منظومة عقيلة أتراب القصائد ص24.

الخاتمة

الحمد له جلّ في علاه ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . أما بعد:

فقد تم بفضل الله وعونه هذا البحث ، وتوصلت من خلاله للنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

1. كتب زيد بن ثابت ﷺ القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ فهو أحد كتّاب الوحي.
2. جمع القرآن في صحف في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.
3. نسخ صحف أبي بكر الصديق ة في مصاحف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ مع أبي بن كعب وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبدالله بن الحارث بن هشام ﷺ وكان زيد أميرهم.
4. أتقن زيد علم الفرائض وتفوق فيه.
5. تعلم لغة اليهود في زمن وجيز.
6. تولى عموم الفتوى، وأمور القضاء ، وتقسيم الغنائم ، واسْتُخْلِفَ على المدينة المنورة في غياب الخليفة.

ثانياً: التوصيات:

أوصي بدراسة سير سلفنا الصالح دراسة مفصلة تشتمل على:

1. القُرّاء.
2. المحدثين.
3. المفسرين.
4. الفقهاء.
5. اللغويين.
6. النحاة وغيرهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.